والمهم هو أن هذه الصورة المهذبة لاتوحى اليك من بعيد أو قريب الشخصية البائسة اليائسة التى تندفع الى الخمر والحرب هربا من الموت الذى يؤرقها .

كان طرفة فى قراءة الدكتور طه يشعر بواجبه ويعطى قومه ، فمن حقه ألا يبخل على نفسه بالخير ، وألا يحول بينها وبين نعيم الحياة . وطرفة ليس صاحب نشوة حسية ، وإنما هو صاحب لذة رقيقة تصدر عن تفكير واختبار للحياة وحكم دقيق على حوادثها . وقد ظن قومه أنه صاحب لهو وميل فطرى الى اللذة التى لاتنقطع ، ولكن هذا كله خطأ ، وما قيمة الحياة الطويلة الجافة الخشنة التى لا لذة فيها ولا نعيم ، وهل يحرص الناس على الحياة إلا لما فيها من لذة . وإذا لم يكن بد من الموت ، وإذا لم يكن وراء الموت شىء ، وإذا كان الموت ملما بالفقير والغنى ، بالجواد والبخيل ، بالشجاع والجبان ، أفليس الخير أن يأخذ المرء فى هذه الحياة بلذات النفس والجسم جميعا ، فيرضى نفسه بأداء الواجب والارتفاع عن الدنيات ، ويرضى جسمه بالأخذ بأعظم نصيب يتاح له من المتاع ؟

يقول طرفة : إن الذين يرثون مال البخيل كالذين يرثون إعدام الكريم لن يستطيعوا أن يغيروا مابين القبرين من شبه . هذه الأبيات فيما يقول الدكتور طه لاتسقط عليك كما تسقط الصواعق الموئسة ، وإنما تنزل على نفسك كما تنزل السكينة التى تمنحك الأمن والراحة والهدوء .

ويخلص الدكتور طه قائلا : ومادامت الحياة منتهية الى هذا اليأس ، ومادامت الأعمال والآمال فرصا تنتهز ، وأشياء إن لم تظفر بها حين تتاح لك فستفوتك أبدا فما ينبغى أن يكبر الإنسان من أمرها ، ولا أن يتخذها وسيلة إلى إفساد الصلات بينه وبين الناس ، «وما ينبغى للرجل الرشيد أن يعدل بالمودة والإخاء والوفاء شيئا من الأشياء . ولكن الناس تفسدهم أعراض الدنيا فيؤثرون بها أنفسهم ، ويتكلفون فى سبيلها ما لاينبغى أن يتكلفه الرجل الكريم من البخل والضيق ونقص المروءة وإيذاء الإخوان والتقصير فى ذاتهم ، والتقصير فى ذات أنفسهم أيضا حين يكفون خيرهم عن الناس هذه السيرة التى يتورط فيها أكبر الناس فى كل عصر ، والتى تفرض عليهم النفاق ، وتصغرهم فى نفوسهم ونفوس نظرائهم هى التى ألهمت طرفة فيما يظهر شعره هذا الجميل » .